

## كتابان تونسيان يؤرخان للسرد العربي وقضاياها

تونس - أصدر بيت الرواية لمدينة الثقافة الشاذلي القليبي كلاً من كتابي "قضايا البشارة السوداء في الرواية" و"تجربتي في الكتابة" وذلك ضمن سلسلة منشورات داب بيت الرواية على إصدارها كأحد المراكز الأساسية في مدينة الثقافة بالعاصمة التونسية.

كتاب "قضايا البشارة السوداء في الرواية" هو ملخص مطول لملقني تونس الثاني للرواية العربية الذي انتظم أيام 7، 8 و9 مارس 2019 بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي وشارك فيه العديد من الروائيين والنقاد التونسيين والعرب، حيث قدم روائيون من السودان ومن مصر ومن الأردن ومن سوريا ومن المغرب ومن تونس شهادات ومدخلات تناولت جوانب مختلفة من القضايا المتصلة بحضور البشارة السوداء في البعض من الأعمال الروائية العربية.

وطرح الملقني ثلاثة محاور أساسية وهي: "العبودية في الرواية"، "العنصرية في الرواية" و"البشارة السوداء مقاربات التحضر"، دققة لغويا الكاتب جاسر عيد وصمم غلافه توفيق عمران.

ومن بين المدخلات نجد مداخلة للروائي التونسي المتوج بالجائزة العالمية للرواية العربية 2015 شكري المبخوت، الذي اعتبر أن المدونة الروائية التي اهتمت بقضايا أصحاب البشارة السوداء قامت على توجيهين أساسيين، اهتم الأول باستعادة قهر السود والهيمنة عليهم في سياق المجتمعات العربية القديمة التي يقوم اقتصادها على ركائز من بينها تجارة الرق، مثل روايات الليبية نجوى بن شتوان "زرايب العبيد" والبحريني خالد البسام "تمن الملح" والأردنية سميحة خريس "بابنوس"، بينما ركز

التوجه الثاني على التناول السردي لصراع الإنسان الأسود المتقل بتاريخ من الإذلال والخوف والأفكار المسبقة ومركبات النقص والخضوع. ولفت المبخوت إلى أن "الإنتاج الذي يعالج قضايا الإنسان الأسود قد تكاثرت نسبياً في السنوات الأخيرة، ما شكل مدونة جديدة بالعناية والدرس".

وأضاف "لا يعود ذلك إلى دخول كتاب من أصحاب البشارة السوداء وخاصة السودانيين بعد الطيب صالح إلى مجال الرواية المتطورة فنياً في كتابتها، بل هو مرتبط في تقديرنا بالوعي الجديد الذي نشأ مع فكر مناهضة العنصرية من ناحية، ودور الرواية في منح صوت لمن لا صوت لهم وإبراز التعددية في المجتمع والتاريخيين من ناحية أخرى".

ومن بين الكتاب الذين نجد شهاداتهم في الكتاب، الروائية المصرية سلوى بكر التي تطرقت إلى كيفية تناولها لقضية البشارة السوداء من خلال روايتها "كوكو سودان كاباشي" حيث روت قصة كتيبة عسكرية مصرية جل جنودها من السودان ومن النيل التحتاني ومن العبيد الذين تم جلبهم من أسواق الخرطوم، كانت قد شاركت في الحرب الأهلية في المكسيك

وقال الصويم إن المفارقة المدهشة في هذه النقطة أن "السوداني" يأخذ مسماه التجنيسي هذا "سود - اني" من صبغة اللون الأسود، التي يفترض أنها إشارة إلى لون بشرته، إلا أنه لا يعترف بتاتا بهذا اللون ويتعامل معه بعناء، وكأنه لون شخص مختلف / آخر، وليس لونه هو بالتحديد.

وتواصلت مداخلات الكتاب في مقاربتهم لقضايا البشارة السوداء، ما يجعل من كتاب "قضايا البشارة السوداء في الرواية" مرجعاً في موضوعه من خلال مقاربات مختلفة تصدى لها الروائيون والنقاد العرب من غرب العالم العربي إلى مشرقه.

أما الكتاب الثاني "تجربتي في الرواية" الذي دققة لغويا الكاتب جاسر عيد وصمم غلافه توفيق عمران، فهو عصارة أشهر اللقاءات التي اعتاد بيت الرواية على تنظيمها بصفة دورية والتي استقبلت خلالها عدداً كبيراً من الروائيين التونسيين من أجيال مختلفة، قُدموا فيها مجموعة من الشهادات حول تجاربهم الروائية والقصصية. وقد استقبل بيت الرواية تقريباً أغلب الكتاب التونسيين وخاصة من رواد الرواية التونسية على غرار الحبيب السالمي وأبو بكر العيادي وحسونة المصباحي وأمنة

الريملي غيرهم، علاوة على جيل الشباب من كتاب الرواية، حيث كانت اللقاءات أسبوعية لكل منها خصوصيات.

ويلخص الكتاب حركة السرد الروائي وتطور وعي الكتاب وتبلور المشاريع الأدبية في تونس، حيث تمثل هذه الشهادات وثائق حية تؤرخ للأدب التونسي والرواية التونسية من الداخل عبر كتابها.

ويستشهد سعد على سبيل المثال بفيلم "الجوع" المأخوذ عن "ملحمة الحرافيش"، وهو ديكور مبني داخل لاتوة، يقول "أنا حضرت تصويره ومن خلاله، كانت هناك سيطرة تامة على المشاهد التي أمكن من خلالها نقل الإحساس الحقيقي بأن هذا المكان هو المكان الذي يعبر عن الواقع بالفعل".

ويشير إلى أنه حتى وإن توافرت "حارة الحرافيش" في الواقع - كما يقول البعض - وحتى لو ظهرت هناك فكرة لإعادة إنتاج العمل مرة أخرى بشكل أو بآخر، فغيره من الأعمال الدرامية التي أعيد إنتاجها، فسوف يظل الأمر غاية في الصعوبة نتيجة التغييرات التي طرأت على المكان اليوم، والتي قد تؤدي إلى صعوبة في التصوير فيه، فنحن الآن في 2021؛ والمعالم مختلفة، والمحيط حول المكان صعب إخفاء كل ما فيه، من حركة وسيارات وسكان.

ويشير إلى أنه حتى وإن توافرت "حارة الحرافيش" في الواقع - كما يقول البعض - وحتى لو ظهرت هناك فكرة لإعادة إنتاج العمل مرة أخرى بشكل أو بآخر، فغيره من الأعمال الدرامية التي أعيد إنتاجها، فسوف يظل الأمر غاية في الصعوبة نتيجة التغييرات التي طرأت على المكان اليوم، والتي قد تؤدي إلى صعوبة في التصوير فيه، فنحن الآن في 2021؛ والمعالم مختلفة، والمحيط حول المكان صعب إخفاء كل ما فيه، من حركة وسيارات وسكان.

## «حرافيش» نجيب محفوظ تثير الجدل بعد 45 عاماً من صدورها

### الحارة التي كتب عنها محفوظ متخيلة وليست واقعية



كاتب أعاد بناء الحارة المصرية وأصبح منها

ويقول الناقد حسين حمودة، أسنان الأدب العربي بجامعة القاهرة، "إن ارتباط محفوظ بالحارة المصرية ارتباطاً أزلياً بالمكان وولع لا حد له، فهي جزء من البناء الأدبي لصرح نجيب محفوظ الخالد، مشيراً إلى أن "البيت القديم" ظل مكاناً وزماناً، يمثل هاجساً مسيطراً، أو "قيمة" متكررة، تتردد في روايات محفوظ وتُسهم إلى حد بعيد في صياغة ملامحها وعوالمها.

ويؤكد الناقد أن مجموعة من روايات محفوظ التي يتناول فيها البيت القديم عديدة مثل "السراب" 1948، "الثلاثية" 1956 و1957، "أولاد حارتنا" 1959، "السمان والخريف" 1962، "ميرامار" 1967، "قلب الليل" 1975، "أفراح القبة" 1981، "الباقى من الزمن ساعة" 1982، "يوم قتل الزعيم" 1985.

ويؤكد سعد أن التصوير في مكان حقيقي مشكلة كبيرة، لأنك لا تستطيع السيطرة على الوضع بالكامل، حركة الناس، سكان المنطقة، الإضاءة، لأن المسألة صعبة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اللوكيشن الحقيقي صعب في مستوى التنفيذ الإنتاجي؛ فهو يحتاج إلى تكلفة كبيرة، بعكس الحال في "الاستوديو" حيث يمكن السيطرة على عملية التصوير برمته.

ويضيف الناقد السينمائي بان الأصل هو أن السينما عندما تقدم الواقع فهي تقدم "إيهاماً فقط"، والأمر يتوقف على فريق العمل بأن ينجح في نقل الصورة وإعطاء الإحساس بذلك للجمهور، وقد تقوم بالتصوير في الواقع لكنت لا تستطيع أن تعطي للجمهور هذا الإحساس، وبالتالي يبقى الاستوديو الملائم الحقيقي الذي تستطيع من خلاله نقل الواقع بصورة أو بأخرى.

ويستشهد سعد على سبيل المثال بفيلم "الجوع" المأخوذ عن "ملحمة الحرافيش"، وهو ديكور مبني داخل لاتوة، يقول "أنا حضرت تصويره ومن خلاله، كانت هناك سيطرة تامة على المشاهد التي أمكن من خلالها نقل الإحساس الحقيقي بأن هذا المكان هو المكان الذي يعبر عن الواقع بالفعل".

ويشير إلى أنه حتى وإن توافرت "حارة الحرافيش" في الواقع - كما يقول البعض - وحتى لو ظهرت هناك فكرة لإعادة إنتاج العمل مرة أخرى بشكل أو بآخر، فغيره من الأعمال الدرامية التي أعيد إنتاجها، فسوف يظل الأمر غاية في الصعوبة نتيجة التغييرات التي طرأت على المكان اليوم، والتي قد تؤدي إلى صعوبة في التصوير فيه، فنحن الآن في 2021؛ والمعالم مختلفة، والمحيط حول المكان صعب إخفاء كل ما فيه، من حركة وسيارات وسكان.

ويقول الناقد حسين حمودة، أسنان الأدب العربي بجامعة القاهرة، "إن ارتباط محفوظ بالحارة المصرية ارتباطاً أزلياً بالمكان وولع لا حد له، فهي جزء من البناء الأدبي لصرح نجيب محفوظ الخالد، مشيراً إلى أن "البيت القديم" ظل مكاناً وزماناً، يمثل هاجساً مسيطراً، أو "قيمة" متكررة، تتردد في روايات محفوظ وتُسهم إلى حد بعيد في صياغة ملامحها وعوالمها.

ويؤكد الناقد أن مجموعة من روايات محفوظ التي يتناول فيها البيت القديم عديدة مثل "السراب" 1948، "الثلاثية" 1956 و1957، "أولاد حارتنا" 1959، "السمان والخريف" 1962، "ميرامار" 1967، "قلب الليل" 1975، "أفراح القبة" 1981، "الباقى من الزمن ساعة" 1982، "يوم قتل الزعيم" 1985.

ويؤكد سعد أن التصوير في مكان حقيقي مشكلة كبيرة، لأنك لا تستطيع السيطرة على الوضع بالكامل، حركة الناس، سكان المنطقة، الإضاءة، لأن المسألة صعبة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اللوكيشن الحقيقي صعب في مستوى التنفيذ الإنتاجي؛ فهو يحتاج إلى تكلفة كبيرة، بعكس الحال في "الاستوديو" حيث يمكن السيطرة على عملية التصوير برمته.

ويضيف الناقد السينمائي بان الأصل هو أن السينما عندما تقدم الواقع فهي تقدم "إيهاماً فقط"، والأمر يتوقف على فريق العمل بأن ينجح في نقل الصورة وإعطاء الإحساس بذلك للجمهور، وقد تقوم بالتصوير في الواقع لكنت لا تستطيع أن تعطي للجمهور هذا الإحساس، وبالتالي يبقى الاستوديو الملائم الحقيقي الذي تستطيع من خلاله نقل الواقع بصورة أو بأخرى.

ويستشهد سعد على سبيل المثال بفيلم "الجوع" المأخوذ عن "ملحمة الحرافيش"، وهو ديكور مبني داخل لاتوة، يقول "أنا حضرت تصويره ومن خلاله، كانت هناك سيطرة تامة على المشاهد التي أمكن من خلالها نقل الإحساس الحقيقي بأن هذا المكان هو المكان الذي يعبر عن الواقع بالفعل".

ويشير إلى أنه حتى وإن توافرت "حارة الحرافيش" في الواقع - كما يقول البعض - وحتى لو ظهرت هناك فكرة لإعادة إنتاج العمل مرة أخرى بشكل أو بآخر، فغيره من الأعمال الدرامية التي أعيد إنتاجها، فسوف يظل الأمر غاية في الصعوبة نتيجة التغييرات التي طرأت على المكان اليوم، والتي قد تؤدي إلى صعوبة في التصوير فيه، فنحن الآن في 2021؛ والمعالم مختلفة، والمحيط حول المكان صعب إخفاء كل ما فيه، من حركة وسيارات وسكان.

من يذكر الكاتب المصري نجيب محفوظ سيذكر حتماً الحارة المصرية التي ارتبطت بها جل أعماله. ولعل روايته "ملحمة الحرافيش" هي الأكثر شهرة حيث أشادت بها جائزة نوبل في مسوغات منحها هذا التتويج الأدبي العالمي. لكن وإن لم يحدد محفوظ مكان الحارة التي دارت فيها أحداث الحرافيش، ولا زمنها بدقة، فإن هناك ادعاءات كثيرة تقول بأنها حارة موجودة فعليا، وهو ما أثار استغراب محفوظ نفسه قبل رحيله.

وقال الصويم إن المفارقة المدهشة في هذه النقطة أن "السوداني" يأخذ مسماه التجنيسي هذا "سود - اني" من صبغة اللون الأسود، التي يفترض أنها إشارة إلى لون بشرته، إلا أنه لا يعترف بتاتا بهذا اللون ويتعامل معه بعناء، وكأنه لون شخص مختلف / آخر، وليس لونه هو بالتحديد.

وتواصلت مداخلات الكتاب في مقاربتهم لقضايا البشارة السوداء، ما يجعل من كتاب "قضايا البشارة السوداء في الرواية" مرجعاً في موضوعه من خلال مقاربات مختلفة تصدى لها الروائيون والنقاد العرب من غرب العالم العربي إلى مشرقه.

أما الكتاب الثاني "تجربتي في الرواية" الذي دققة لغويا الكاتب جاسر عيد وصمم غلافه توفيق عمران، فهو عصارة أشهر اللقاءات التي اعتاد بيت الرواية على تنظيمها بصفة دورية والتي استقبلت خلالها عدداً كبيراً من الروائيين التونسيين من أجيال مختلفة، قُدموا فيها مجموعة من الشهادات حول تجاربهم الروائية والقصصية. وقد استقبل بيت الرواية تقريباً أغلب الكتاب التونسيين وخاصة من رواد الرواية التونسية على غرار الحبيب السالمي وأبو بكر العيادي وحسونة المصباحي وأمنة

الريملي غيرهم، علاوة على جيل الشباب من كتاب الرواية، حيث كانت اللقاءات أسبوعية لكل منها خصوصيات.

ويلخص الكتاب حركة السرد الروائي وتطور وعي الكتاب وتبلور المشاريع الأدبية في تونس، حيث تمثل هذه الشهادات وثائق حية تؤرخ للأدب التونسي والرواية التونسية من الداخل عبر كتابها.

القاهرة - رغم شهرتها تظل حارة الحرافيش الحقيقية، مجهولة في مصادر الأدب والنقد وأكثرها التي تناولت أدب الكاتب المصري نجيب محفوظ، ويظل الحديث عنها وعن وجودها الحقيقي معلقاً فوق باب الوداع في الجزء الجنوبي لقعة صلاح الدين مثيراً للدهشة.

فقد ألف محفوظ رواية "ملحمة الحرافيش" عام 1977 في المرحلة الرمزية أو ما بعد الواقعية في أدبه، والتي عدّها البعض واقعية ملحمة متمزجة بالصوفيّة. فكل الروايات التي حملت أسماء أحياء وحارات موجودة في جغرافية المكان الذي استقى منه معظم أعماله في حي الجمالية، مثل: قصر الشوق، بين القصرين، السكرية، خان الخليلي، وزقاق المدق..

ويؤكد الأديب يوسف القعيد - وثيق الصلة بنجيب محفوظ في عوالمه الثلاثين الأخيرة - شهادة الأديب محمد الشاذلي حول الحارة المجهولة، مشيراً إلى أن محفوظ قال له إن كلمة الحرافيش معناها "الحارة مفيش" بالعامية المصرية؛ لأن الفتوة عندما يظهر في الحارة كانت الناس تخفتي منها تماماً.

ويضيف إن "الحارة في أدب محفوظ موجودة في أرض الواقع المصري حتى الآن وشهادة الشاذلي دقيقة بوجودها باسم 'حارة الحرافيش'. و محفوظ كان مولعاً بالحارة لأنه قضى سنوات عمره في منطقته الجمالية، كتب عن أحيائها، وكذلك الزقاق، زقاق المدق وخان الخليلي؛ والزقاق عبارة عن حارة صغيرة ومغلقة من الداخل".

ويضيف الشاذلي أن محفوظ في قصصه ورواياته خصوصاً في مرحلته الواقعية كان يكتب من وعن الحارة وتفاصيل العلاقات الاجتماعية فيها وتطلعات ناسها، وارتباط ذلك بالأوضاع السياسية في مصر، والتي يفهمها جيداً، وهو الذي لم يخرج من الحارة أبداً، ربما أطل ببعض الأعمال أو وضع ارتباطات بالإسكندرية، لكن الخروج من حارات الجمالية إلى مياه المتوسط كان بحساب، وكان بالضبط بعد تجاوز المرحلة التاريخية والواقعية في رواياته، إلى المرحلة الفكرية الفلسفية وأشهر أعمالها "السمان والخريف" و"الطريق".

لكن الخروج من حارات الجمالية إلى مياه المتوسط كان بالضبط بعد تجاوز المرحلة التاريخية والواقعية في رواياته، إلى المرحلة الفكرية الفلسفية وأشهر أعمالها "السمان والخريف" و"الطريق".

لكن ملحمة الحرافيش لم تكتب عن الحارة الحقيقية إنما شحنت بفلسفة وتصوف ورموز، تعبر عن فكر محفوظ نفسه في رفض فكرة الحاكم المطلق.



برق الليل أشهر الشخصيات السوداء في الأدب التونسي